رسالة فى حروف القرآن وأصواتنا به

وما وقع فى ذلك من النزاع

من درر

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمه الله وغفر لنا وله وللمؤمنين

٦٦١ - ٧٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه رسالة فى حروف القرآن وأصوات القارىء وماوقع فى ذلك من النزاع ، و بيان الحق وما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع .

لشيخ الإسلام والمسلمين ، عمدة المفتين ، و إمام المحققين بحر العلوم ، الصدر الكامل . ناصر السنة ، وقامع البدعة . أبى العباس أحمد بن تيمية ، الحرانى الحنبلى السلفى ، قدس الله روحه .

سئل الشيخ ـ رحمه الله ـ عن رجلين تباحثا .

فقال أحدهما : القرآن حرف وصوت . وقال الآخر : ليس هو بحرف ولا صوت .

وقال أحدهما النقط التى فى المصحف والشكل من القرآن . وقال الآخر : ليس ذلك من القرآن . فما الصواب فى ذلك ؟ .

فأجاب رضى الله عنه :

الحمد لله رب العالمين .

هذه المسألة : يتنازع فيها كثير من الناس . و يخلطون الحق بالباطل .

فالذى قال « إن القرآن حرف وصوت » إن أراد بذلك : أن هذا القرآن الذى يقرؤه المسلمون : هو كلام الله الذى نزل به الروح الأمين على قلب محمد خاتم النبيين والمرسلين . وأن جبريل سمعه من الله ، والنبى صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل . والمسلمون : سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم . كما قال تعالى (١٦ : ١٠٢ قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقال تعالى (٦ : ١١٤ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) فقد أصاب فى ذلك . فإن هذا مذهب سلف الأمة وأئمتها رحمهم الله . والدلائل على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة والإجماع .

ومن قال « إن القرآن العربى لم يتكلم الله به . وإنما هو كلام جبريل، أو كلام محمد ، عبَّر به عن المعنى القائم بذات الله » كما يقول ذلك ابن كُلاَّب والأشعرى ومن وافقهما : فهو قول باطل من وجوه كثيرة .

فإن هؤلاء يقولون : إن كلام الله معنى واحد قائم بالذات . وإن معنى التوراة والإنجيل والقرآن واحد . وأنه لايتعدد ، ولا يتبعض . وإنه إن عبر عنه بالعربية : كان قرآنا . وبالعبرانية : كان توراة . وبالسريانية : كان إنجيلا . فيجعلون معنى آية الكرسى ، وآية الدَّين ، و(قل هو الله أحد) و(تبّتْ يدا أبى لهب) والتوراة والإنجيل ، وغيرهما : معنًى واحداً .

وهذا قول فاسد بالعقل والشرع . وهو قولٌ أحدثه ابن كلاب ، لم يسبقه إليه غيره من السلف .

وإن أراد القائل « بالحرف والصوت » أن الأصوات المسموعة من القراء . والمداد الذى فى المصاحف قديم أزلى : فقد أخطأ وابتدع . وقال مايخالف العقل والشرع . فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال « زينوا القرآن بأصواتكم » فبين أن الصوت صوت القارىء . والكلام كلام البارى . كما قال تعالى (٩ : ٦ وإن أحد من المشركين استجارك فأجِرْه حتى يسمع كلام الله) .

والقرآن الذى يقرؤه المسلمون : كلام الله . لا كلام غيره . كما ذكر الله ذلك . وفى السنن : عن جابر بن عبد الله ، أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان يعرض نفسه على الناس بالموسم . فيقول : ألا رجل يحملنى إلى قومه لأبلغ كلام ربى . فإن قريشاً قد منعونى أن أبلغ كلام ربى » وقالوا لأبى بكر الصديق ـ لما قرأ عليهم (آلم . غلبت الروم) ـ أهذا كلامك ، أم كلام صاحبك ؟ فقال « ليس بكلامى ولا كلام صاحبى ، ولكنه كلام الله تعالى » .

والناس إذا بَلَّغوا كلام النبى صلى الله عليه وسلم ، كقوله « إنما الأعمال بالنيات » يعلمون : أن الحديث الذى يبلغون هو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والسامعون يعلمون أن الحديث الذى يسمعون : كلام النبى صلى الله عليه وسلم . تكلم به بصوته و بحروفه ومعانيه . والمحدث : إنما بلغه عنه بصوت نفسه ، لا بصوت النبى صلى الله عليه وسلم .

فالقرآن : أولى أن يكون كلام الله ، إذا بلغه الرسول عنه ، وقرأه الناس بأصواتهم . والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه . ونادى موسى بصوت نفسه . كما ثبت بالكتاب والسنة ، و إجماع السلف .

وصوت العبد : ليس هو صوت الرب ، ولا مثل صوته . فإن الله ليس كمثله شىء ، لا فى ذاته ولا فى صفاته ، ولا فى أفعاله .

وقد نص أئمة الإسلام ـ أحمد ومن قبله من الأئمة رحمهم الله ـ على مانطق به الكتاب والسنة . من أن الله ينادى بصوت ، وأن القرآن كلامه تكلم بحروف وصوت ، ليس منه شىء كلاماً لغيره ، لا جبريل ، ولا غيره . وأن العباد يقرءونه بأصوات أنفسهم وأفعالهم . فالصوت المسموع من العبد : صوت القارىء . والكلام : كلام البارى .

وكثير من الخائضين فى هذه المسألة : لا يميز بين صوت العبد وصوت الرب . بل يجعل هذا هو هذا ، فينفيهما جميعاً ، و يثبتهما جميعا . فإذا نفى الحرف والصوت : نفى أن يكون القرآن العربى كلام الله . وأن يكون الله منادياً لعباده بصوته الذى ليس كصوت العبد . وأن يكون القرآن الذى يقرؤه المسلمون : هو كلام الله . كما نفى أن يكون صوت العبد صفة لله ، ثم جعل كلام الله المتنوع شيئاً واحداً . لا فرق بين القديم والحادث .

وهو مصيب فى هـذا الفرق ، دون ذاك الثانى الذى فيه نوع من الإلحاد والتعطيل . حيث جعل الكلام المتنوع شيئاً واحداً ، لا حقيقة له عند التحقيق .

و إذا جعل صوت الرب هو صوت العبد ، أو سكت عن التمييز بينهما ـ مع قوله : إن الحروف متعاقبة فى الوجود ، مقترنة فى الذات ، قديمة أزلية الأعيان . فجعل

عين صفة الرب تحل فى العبد ، أو تتحد بصفته ـ فقد قال بنوع من الحلول والاتحاد يفضى إلى نوع من التعطيل .

وقد علم أن نفى الفرق والمباينة بين الخالق وصفاته ، والمخلوق وصفاته : خطأ وضلال ، لم يذهب إليه أحد من سلف الأمة وأئمتها . بل هم متفقون على التمييز بين صوت الرب ، وصوت العبد . ومتفقون : أن الله تكلم بالقرآن الذى أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، حروفه ومعانيه . وأنه ينادى عباده بصوته . ومتفقون على أن الأصوات المسموعة من القراء : هى أصوات العباد ، وعلى أنه ليس شىء من أصوات العباد ، ولا مداد المصاحف : قديما . بل القرآن مكتوب فى مصاحف المسلمين ، مقروء بألسنتهم ، محفوظ بقلوبهم . وهو كله كلام الله . والصحابة كتبوا المصاحف ، كما كتبوها ، بغير شكل ولا نقط ، لأنهم كانوا عرباً لايلحنون . ثم لما حدث اللحن : نقط الناس المصاحف وشكلوها . فإن كتبت بغير شكل ولا نقط : جاز . وإن كتبت بنقط وشكل : جاز ولم يكره . فى أظهر قول العلماء ، وإحدى الروايتين عن أحمد . وحكم النقط والشكل : حكم الحروف . فإن الشكل يبين إعراب القرآن ، كما يبين النقط الحروف .

والمداد الذى تكتب به الحروف ، ويكتب به الشكل والنقط : مخلوق . وكلام الله العربى الذى أنزله ، وكتب فى المصاحف بالشكل والنقط ، وبغير شكل ونقط : ليس بمخلوق . وحكم الإعراب حكم الحروف ، لكن الإعراب لايستقل بنفسه ، بل هو تابع للحروف المنقوطة . والشكل والنقط لا يستقل بنفسه ، بل هو تابع للحروف المرسومة . فلهذا لا يحتاج لتجريدهما وإفرادهما بالكلام ، بل القرآن الذى يقرؤه المسلمون : هو كلام الله ، معانيه وحروفه ، وإعرابه .

والله تكلم بالقرآن العربى الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم . والناس يقرءونه بأفعالهم وأصواتهم . والمكتوب فى مصاحف المسلمين هو كلام الله . وهو القرآن العربى الذى أنزله على نبيه ، سواء كتب بشكل ونقط ، أو بغير

شكل ونقط . والمداد الذى كتب به القرآن ليس بقديم ، بل هو مخلوق . والقرآن الذى كتب فى المصحف بالمداد : هو كلام الله ، منزل غير مخلوق . والمصاحف يجب احترامها باتفاق المسلمين . لأن كلام الله مكتوب فيها ، واحترام النقط والشكل ـ إذا كتب المصحف مشكلا منقوطاً ـ كاحترام الحروف . باتفاق علماء المسلمين ، كما أن حرمة إعراب القرآن كحرمة حروفه المنقوطة باتفاق المسلمين . ولهذا قال أبو بكر وعمر « حفظ إعراب القرآن : أحب إلينا من حفظ بعض حروفه » .

والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه ، فجميعه كلام الله . فلا يقال : بعضه كلام الله ، و بعضه ليس بكلام الله .

وهو سبحانه قد نادى موسى بصوت سمعه موسى . فإنه سبحانه قد أخبر : أنه نادى موسى فى غير موضع من القرآن . كما قال تعالى (٧٩ : ١٥ ، ١٦ هل أتاك حديث موسى . إذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى) .

والنداء لا يكون إلا صوتاً ، باتفاق أهل اللغة . وقد قال تعالى (٤ : ١٦٣ ، ١٦٤ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده . وأوحينا إلى إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب والأسباط ، وعيسى وأيوب و يونس وهارون وسليمان . وآتينا داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل . ورسلاً لم نقصصهم عليك . وكلم الله موسى تكليماً) .

فقد فرق الله بين إيحائه إلى النبيين . و بين تكليمه لموسى . فمن قال : إن موسى لم يسمع صوتاً ، بل أُلهم معناه : لم يفرق بين موسى وغيره . وقد قال الله تعالى (٢ : ٢٥٣ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض . منهم من كَلَّمَ اللهُ . ورفع بعضهم درجات) وقال تعالى (٤٢ : ٥١ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولاً . فيوحى بإذنه مايشاء) .

فقد فرق بين الإيحاء والتكليم من وراء حجاب . كما كلم الله موسى .
فمن سوّى بين هذا وهذا : كان ضالاً .

وقد قال الإمام أحمد وغيره : لم يزل الله متكلما إذا شاء . وهو يتكلم بمشيئته وقدرته ، يتكلم بشيء بعد شيء ، كما قال تعالى (٢٠ : ١١ فلما أتاها نودى ياموسى) فناداه حين أتى الشجرة ، ولم يناده قبل ذلك . وقد قال تعالى (٧ : ٢٢ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما . وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ؟) فهو سبحانه نادى آدم وزوجه حين أكلا من الشجرة ، ولم ينادهما قبل ذلك .

وكذلك قال تعالى (٧: ١١ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ، ثم قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم) فهو سبحانه قال للملائكة وأمرهم بالسجود بعد أن خلق آدم وصوّره ، ولم يأمرهم قبل ذلك . وكذا قوله (٣ : ٥٩ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم . خلقه من تراب . ثم قال له : كن فيكون) فأخبر : أنه قال له « كن فيكون » بعد أن خلقه من تراب .

ومثل هذا الخبر فى القرآن كثير ، يخبر تعالى : أنه تكلم فى وقت معين ، ونادى فى وقت معين .

وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه لما خرج إلى الصفا . قرأ قوله تعالى (٢ : ١٥٨ إن الصفا والمروة من شعائر الله) ثم قال : نبدأ بما بدأ الله به » فأخبر : أن الله بدأ بالصفا قبل المروة .

والسلف اتفقوا على أن كلام الله منزل . غير مخلوق . منه بدأ و إليه يعود ، فظن بعض الناس : أن مرادهم أنه قديم العين .

ثم قالت طائفة : هو معنى واحد ، وهو الأمر بكل مأمور ، والنهى عن كل منهى ، والخبر بكل مخبر . إن عبر عنه بالعربية : كان قرآناً . و إن عبر عنه بالعبرانية : كان توراة . و إن عبر عنه بالسريانية : كان إنجيلاً .

وهذا القول مخالف للشرع والعقل .

وقالت طائفة : هو حروف وأصوات قديمة الأعيان ، لازمة لذات الله . لم تزل

لازمة لذاته ، وأن الباء والسين والميم ، موجودة مقترنة بعضها ببعض معاً ، أزلاً وأبداً ، لم تزل ولا تزال . لم يسبق منها شيء شيئاً .

وهذا أيضاً مخالف للشرع ، والعقل .

وقالت طائفة : إن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، و إنه فى الأزل كان متكلماً بالنداء الذى سمعه موسى عليه السلام . و إنمـا تجدد استماع موسى ، لا أنه ناداه حين أتى الوادى المقدس ، بل ناداه قبل ذلك بمـا لا يتناهى ، ولـكن موسى عليه السلام تلك الساعة سمع النداء .

وهؤلاء وافقوا الذين قالوا : إن القرآن مخلوق فى أصل قولهم . فإن أصل قولهم : إن الرب لا تقوم به الأمور الاختيارية . فلا يقوم به كلام ولا فعل ، باختياره ومشيئته .

وقالوا : هذه حوادث . والرب تعالى لا تقوم به الحوادث .

فخالفوا صحيح المنقول ، وصريح المعقول . واعتقدوا : أنهم بهذا يردون على الفلاسفة ، و يثبتون حدوث العالم .

وأخطأوا فى ذلك . فلا الإسلام نصروا ، ولا الفلاسفة كسروا .

وادعوا : أن الرب لم يكن قادراً فى الأزل على كلام يتكلم به ، ولا فعل يفعله ، وأنه صار قادراً بعد أن لم يكن قادراً ، بغير أمر حدث . أو يغيرون العبارة ، فيقولون : لم يزل قادراً ، لـكن يقولون : إن المقدور كان ممتنعاً ، و إن الفعل صار ممكناً له ، بعد أن كان ممتنعاً عليه ، من غير تجدد شيء .

وقد يعبرون عن ذلك ، بأن يقولوا : كان قادراً فى الأزل على مايمكن فيما لا يزال ، لا على مالا يمكن فى الأزل .

فيجمعون بين النقيضين حيث يثبتونه قادراً فى حال كون المقدور عليه ممتنعاً عندهم . ولم يفرقوا بين نوع الـكلام والفعل ، و بين عينه ، كما لم يفرق الفلاسفة

بين هذا وهذا. بل الفلاسفة ادعوا : أن مفعوله المعين قديم بقدمه . فضلوا فى ذلك ، وخالفوا صريح المعقول ، وصحيح المنقول .

فإن الأدلة لاتدل على قدم شيء بعينه من العالم ، بل تدل على أن ماسوى الله مخلوق حادث ، بعد أن لم يكن . إذ الله تعالى فاعل بقدرته ومشيئته . كما تدل على ذلك الدلائل القطعية .

والفاعل بمشيئته : لا يكون شيء من مفعوله لازماً له بصريح العقل واتفاق عامة العقلاء ، بل وكل فاعل لا يكون شيء من مفعوله لازماً لذاته . ولايتصور مقارنة مفعوله المعين له ، ولو قدر أنه فاعل بغير إرادة . فكيف بالفاعل بالإرادة ؟ .

وما يذكر بأن المعلول يقارن علته : فإنما يصح فيما كان من العلل يجرى مجرى الشروط . فإن الشرط لا يجب أن يتقدم على المشروط . بل قد يقارنه ، كما تقارن الحياة العلم . وأما ما كان فاعلا ـ سواء سمى علة ، أو لم يسم علة ـ فلا بد أن يتقدم على الفعل المعين . والفاعل المعين لايجوز أن يقارنه شيء من مفعولاته ، ولا يعرف العقلاء فاعلا قط يلزمه مفعول معين . وقول القائل : حركت يدى ، فتحرك الخاتم : هو من باب الشروط ، لامن باب الفاعلية .

ولأنه لوكان العالم قديماً ، لكان فاعله موجباً بذاته فى الأزل . ولم يتأخر عنه موجبه ومقتضاه . ولو كان كذلك لم يحدث شيء من الحوادث ، وهذا خلاف المشاهد .

فقد ثبت أن الله سبحانه لم يزل قادراً على الكلام والفعل ، بل لم يزل متكلماً إذا شاء ، فاعلا لما يشاء ، ولم يزل موصوفاً بصفات الكمال ، منعوتاً بنعوت الجلال والإكرام .

والعالم فيه من الإحكام والإتقان : مايدل على علم الرب . وفيه من الاختصاص : مايدل على مشيئته . وفيه من الإحسان : مايدل على رحمته . وفيه من العواقب الحيدة : مايدل على حكمته . وفيه من الحوادث : مايدل على قدرة الرب تعالى ، مع

أن الرب مستحق لصفات الـكمال لذاته . فإنه مستحق لـكل كمال ممكن للوجود لانقص فيه . منزه عن كل نقص .

وهو سبحانه ليس له كُفْءٌ فى أى صفة من صفاته ، ولا فى أى أمر من أموره . فهو موصوف بصفات الـكمال على وجه التفصيل ، منزه فيها عن التشبيه والتمثيل . ومنزه عن النقائص مطلقا . فإن وصفه بالنقائص من أعظم الأباطيل . وكماله من لوازم ذاته المقدسة ، لايستفيده من غيره . بل هو المنعم على خلقه بالخلق والإنشاء . وما جعله فيهم من صفات الأحياء . وخالق صفات الـكمال أحق بها مَنْ لا كُفُوَ له فيها .

وأصل اضطراب الناس فى مسألة كلام الله : أن الجهمية والمعتزلة لما ناظرت الفلاسفة فى مسألة حدوث العالم ، اعتقدوا أن مايقوم به من الصفات والأفعـال المتعاقبة : لا يكون إلا حادثا ، بناء على أن مالا يتناهى لايمكن وجوده . والتزموا أن الرب كان فى الأزل غير قادر على الفعل والـكلام ، بل كان ذلك ممتنعاً عليه وكان معطلا عن ذلك .

وقد يعبرون عن ذلك : بأنه كان قادراً فى الأزل على الفعل فيما لايزال ، مع امتناع الفعل عليه فى الأزل . فيجمعون بين النقيضين . حيث يصفونه بالقدرة فى حال امتناع المقدور لذاته ، إذ كان الفعل يستلزم أن يكون له أول . والأزل لا أول له . والجمع بين إثبات الأولية ونفيها : جمع بين النقيضين . ولم يهتدوا إلى الفرق بين مايستلزم الأولية والحدوث . وهو الفعل المعين والمفعول المعين . و بين مالا يستلزم ذلك . وهو نوع الفعل والـكلام . بل هذا يكون دائما ، و إن كان كل من آحاده حادثا ، كما يكون دائما فى المستقبل ، و إن كان كل من آحاده فانياً . بخلاف خالق يلزمه مخلوقه المعين دائما . فإن هذا هو الباطل فى صريح العقل وصحيح النقل . ولهذا اتفقت فطر العقلاء على إنكار ذلك ، لم ينازع فيه إلا شرذمة

من المتفلسفة . كابن سينا وأمثاله الذين زعموا : أن الممكن المفعول قد يكون قديماً واجب الوجود بغيره .

فخالفوا فى ذلك جماهير العقلاء ، مع مخالفتهم لسلفهم : إرسطو وأتباعه ، فإنهم لم يكونوا يقولون ذلك ، و إن قالوا : بقدم الأفلاك .

و إرسطو أول من قال : بقدمها من الفلاسفة المشّائين ، بناء على إثبات علة غائية ، لحركة الفلك . يتحرك الفلك للتشبه بها . لم يثبتوا له فاعلا مبدعاً ، ولم يثبتوا ممكنا قديما واجباً بغيره ، وهم ـ و إن كانوا : أجهل بالله ، وأكفر من متأخريهم ـ فهم يسلمون لجمهور العقلاء : أن ما كان ممكناً بذاته ، فلا يكون إلا محدثاً مسبوقا بالعدم . فاحتاجوا أن يقولوا : كلامه مخلوق ، منفصل عنه .

وطائفة وافقتهم على امتناع وجود مالا نهاية له . لكن قالوا : تقوم به الأمور الاختيارية . فقالوا : إنه فى الأزل لم يكن متكلماً . بل ولا كان الكلام مقدوراً له ، ثم صار متكلماً بلا حدوث حادث بكلام يقوم به . وهو قول الهاشمية ، والكرامية وغيرهم .

وطائفة قالت : إذا كان القرآن غير مخلوق ، فلا يكون إلا قديم العين لازماً لذات الرب ، فلا يتكلم بمشيئته وقدرته .

ثم منهم من قال : هو معنى واحد قديم . فجعل آية الكرسى وآية الدَّين ، وسائر آيات القرآن ، والتوراة والإنجيل ، وكل كلام يتكلم الله به : معنى واحداً لا يتعدد ولا يتبعض .

ومنهم من قال : إنه حروف وأصوات مقترنة لازمة للذات ، وهؤلاء أيضاً وافقوا الجهمية والمعتزلة فى أصل قولهم : إنه متكلم بكلام لا يقوم بنفسه ومشيئته وقدرته . وأنه لاتقوم به الأمور الاختيارية . وأنه لم يَسْتوِ على عرشه ، بعد أن خلق السموات والأرض . ولا يأتى يوم القيامة ، ولم يناد موسى حين ناداه . ولا تغضبه المعاصى ، ولا ترضيه الطاعات ، ولا تفرحه توبة التائبين .

وقالوا فى قوله (٩:١٠٥ وقل : اعملوا . فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) ونحو ذلك : أنه لا يراها إذا وجدت . بل إما أنه لم يزل رائياً لها . و إما أنه لم يتجدد له شيء موجود ، بل تعلق معدوم . إلى أمثال هذه المقالات التى خالفوا فيها نصوص الكتاب والسنة ، مع مخالفة صريح العقل .

والذى ألجأهم إلى ذلك : موافقتهم للجهمية ، على أصل قولهم : فى أنه سبحانه لايقدر فى الأزل على الفعل والكلام . وخالفوا السلف والأئمة فى قولهم : لم يزل الله متكلماً إذا شاء .

ثم افترقوا أحزاباً أربعة — كما تقدم — : الخلقية ، والحدوثية ، والاتحادية ، والاقترانية . وشر من هؤلاء : الصابئة والفلاسفة ، الذين يقولون : إن الله لم يتكلم ، لا بكلام قائم بذاته ، ولا بكلام يتكلم به بمشيئته وقدرته . لا قديم النوع ، ولا قديم العين ، ولا حادث ولا مخلوق . بل كلامه عندهم ما يفيض على نفوس الأنبياء . و يقولون : إنه كلم موسى من سماء عقله .

وقد يقولون : إنه تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات . فإنه إنما يعلمها على وجه كلى . و يقولون ، مع ذلك : إنه يعلم نفسه ، و يعلم ما يفعله . وقولهم : يعلم نفسه ومفعولاته حق . كما قال تعالى (٦٧ : ١٤ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟) لكن قولهم — مع ذلك — إنه لا يعلم الأعيان المعينة جهل وتناقض . فإن نفسه المقدسة معينة والأفلاك معينة ، وكل موجود معين . فإن لم يعلم المعينات : لم يعلم شيئاً من الموجودات . إذ الكليات إنما تكون كليات فى الأذهان ، لا فى الأعيان . فمن لم يعلم إلا الكليات ، لم يعلم شيئاً من الموجودات . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيرا .

وهم إنما ألجأهم إلى هذا الإلحاد : فرارهم من تجدد الأحوال للبارى تعالى . مع أن هؤلاء يقولون : إن الحوادث تقوم بالقديم ، و إن الحوادث لا أول لها . لكن نفوا ذلك عن البارى ، لاعتقادهم : أنه لا صفة له . بل هو وجود مطلق .

وقالوا : إن العلم نفس عين العالم ، والقدرة نفس عين القادر . والعلم والعـالم شيء واحد . والمريد والإرادة شيء واحد . فجعلوا هـذه الصفة هي الأخرى ، وجعلوا الصفات هي الموصوف .

ومنهم من يقول : بل العلم كل العلوم ، كما يقوله الطوسي صاحب « شرح الإشارات » فإنه أنكر على ابن سينا إثباته لعلمه بنفسه ، وما يصدر عن نفسه .

وابن سينا أقرب إلى الصواب . لـكنه تناقض مع ذلك حيث نفى قيـام الصفات به . وجعل الصفة عين الموصوف ، وكل صفة هي عين الأخرى .

ولهذا كان هؤلاء أوغل — في الاتحاد والإلحاد — ممن يقول : معاني الكلام شيء واحد . لـكنهم ألزموا قولهم لأولئك ، فقـالوا : إذا جاز أن تـكون المعاني المتعددة شيئاً واحداً : جاز أن يكون العلم هو القدرة ، والقدرة هي الإرادة . فاعترف حذاق أولئك : بأن هذا الإلزام لا جواب عنه .

ثم قالوا : وإذا جاز أن تـكون هذه الصفة هي الأخرى : جاز أن تـكون الصفة هي الموصوف . فجاء ابن عربي الحاتمي ، وابن سبعين ، والقونوي ، ونحوهم من الملاحدة . فقالوا : إذا جاز أن تـكون هذه الصفة هي الأخرى ، والصفة هي الموصوف : جاز أن يكون الموجود الواجب القديم الخالق هو الموجود الممكن المحدث المخلوق . فقالوا : إن وجود كل مخلوق : هو عين وجود الخالق . وقالوا : الوجود واحد ، ولم يفرقوا بين الواحد بالنوع ، والواحد بالعين . كما لم يفرق أولئك بين الـكلام الواحد بالعين ، والـكلام الواحد بالنوع .

وكان منتهى أمر أهل الإلحاد في الـكلام : إلى هذا التعطيل والـكفر والاتحاد الذي قال به أهل الوحدة والحلول والاتحاد في الخالق والمخلوقات . كما أن الذين لم يفرقوا بين نوع الـكلام وعينه . وقالوا : هو يتكلم بحرف وصوت قديم . قالوا — أولا — إنه لا يتـكلم بمشيئته وقدرته ، ولا تسبق الباء السين . بل لما نادى موسى فقال (٢٠ : ١٤ إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) (٢٨ : ٣٠ إني أنا الله رب

العالمين) كانت الهمزة والنون وما بينهما موجوداً فى الأزل ، يقارن بعضها بعضا . لم تزل ولا تزال لازمة لذات الله .

ثم قال فريق منهم : إن ذلك القديم هو نفس الأصوات المسموعة من القرآن . وقال بعضهم : بل المسموع صوتان : قديم ، ومحدث . وقال بعضهم : أشكال المداد قديمة أزلية . وقال بعضهم : محل المداد قديم أزلى .

وحكى عن بعضهم أنه قال : المداد قديم أزلى .

وأكثرهم يتكلمون بلفظ القديم ولا يفهمون معناه .

بل منهم من يظن : أنه قديم فى علمه .

ومنهم من يظن : أن معناه متقدم على غيره .

ومنهم من يظن : أن معنى اللفظ غير مخلوق .

ومنهم من لا يميز بين ما يقول . فصار هؤلاء حلولية اتحادية فى الصفات .

ومنهم من يقول بالحلول والاتحاد فى الذات والصفات . وكان منتهى أمر هؤلاء وهؤلاء إلى التعطيل .

والصواب فى هذا الباب وغيره ــ مذهب سلف الأمة وأئمتها ــ : أنه سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء ، وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته . وأن كلماته لا نهاية لها . وأنه نادى موسى بصوت سمعه موسى ، و إنما ناداه حين أتى . لم يناده قبل ذلك ، وأن صوت الرب لا يماثل أصوات العباد . كما أن علمه لا يماثل علمهم ، وقدرته لا تماثل قدرتهم ، وأنه سبحانه بائن عن مخلوقاته بذاته وصفاته . ليس فى مخلوقاته شىء من ذاته وصفاته القائمة بذاته ، ولا فى ذاته شىء من مخلوقاته . وأن أقوال أهل التعطيل والاتحاد ، الذين عطلوا الذات ، أو الصفات ، أو الكلام ، أو الأفعال : باطلة ، وأقوال أهل الحلول ــ الذين يقولون بالحلول فى الذات أو الصفات ــ باطلة . وهذه الأمور مبسوطة فى غير هذا الموضع وقد بسطناها فى الواجب الكبير والله أعلم بالصواب .

بسم الله الرحمن الرحيم

مسألة : مايقول السادة العلماء الجهابذة أئمة الدين . رضى الله عنهم أجمعين .

فيمن يقول : الكلام غير المتكلم . والقول غير القائل . والقرآن ، والمقروء والقارىء ، كل واحد منها له معنى ؟

بينوا لنا ذلك بياناً شافياً ليصل إلى ذهن الحاذق والبليد ، أثابكم الله بمنه .

الجواب : صورة ، ما أجاب الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، شيخ الإسلام أبى العباس ، تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى الحنبلى ، رضى الله عنه .

الحمد لله رب العالمين .

من قال : إن الكلام غير المتكلم ، والقول غير القائل وأراد : أنه مباين له ، ومنفصل عنه : فهذا خطأ وضلال . وهو قول من يقول : إن القرآن مخلوق . فإنهم يزعمون : أن الله لاتقوم به صفة من الصفات ، لا القرآن ولاغيره . ويوهمون الناس بقولهم : إن العلم غير العالم ، والقدرة غير القادر ، والكلام غير المتكلم . ثم يقولون : وما كان غير الله : فهو مخلوق . وهذا تلبيس منهم . فإن لفظ « الغير » يراد به مايجوز مباينته للآخر ومفارقته له .

وعلى هذا فلا يجوز أن يقال : علم الله غيره . ولا كلامه غيره . ولا يقال : إن الواحد من العشرة غيرها ، وأمثال ذلك . وقد يقال بلفظ «الغير» ماليس هو الآخر وعلى هذا ، فتكون الصفة غير الموصوف . لكن على هذا المعنى : لا يكون ماهو غير ذات الله الموصوفة بصفاته مخلوقا . لأن صفاته ليست هى الذات . لكن هى قائمة بالذات . والله سبحانه وتعالى هو الذات المقدسة ، الموصوفة بصفات كما له . وليس الاسم أسماً لذات لا صفات لها . بل يمتنع وجود ذات لا صفات لها .

والصواب فى مثل هذا ، أن يقال: الكلام صفة المتكلم ، والقول صفة القائل . وكلام الله ليس مباينا له ، بل أسمعه لجبريل . ونزل به على محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (٦ : ١١٤ والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)

ولا يجوز أن يقال : إن كلام الله فارق ذاته ، وانتقل إلى غيره . بل يقال كما قال السلف : إن كلام الله غير مخلوق ، منه بدأ و إليه يعود . فقولهم « منه بدأ » رد على من قال : إنه مخلوق فى بعض الأجسام . ومن ذلك المخلوق ابتدأ . فبينوا أن الله هو المتكلم به . منه بدأ . لا من بعض المخلوقات . وقولهم « إليه يعود » فلا يبقى فى الصدور منه آية ، ولا فى المصاحف حرف .

وأما القرآن : فهو كلام الله . فمن قال : إن القرآن الذى هو كلام الله غير الله : فخطؤه وتلبيسه كخطأ من قال : إن الكلام غير المتكلم . وكذلك من قال : إن الله له مقروء غير القرآن الذى تكلم به : فخطؤه ظاهر . وكذلك من قال : إن القرآن الذى يقرؤه المسلمون : غير القرآن المقروء الذى يقرؤه المسلمون ، فقد أخطأ . و إن أراد بالقرآن : مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنا ، وقال : أردت أن القرآن غير المقروء .

فلفظ « القراءة » مجمل : قد يراد بالقراء القرآن ، وقد يراد بالقراءة المصدر . فمن جعل « القراء » التى هى المصدر . قال : القارىء غير المقروء ، كما يجعل المتكلم الذى فعله غير الكلام الذى هو يقول له وأراد بالغير أنه ليس هو إياه ، فقد صدق . فإن الكلام الذى يتكلم به الإنسان يتضمن فعلا ، كالحركة . و يتضمن مايقترن بالفعل من الحروف والمعانى . ولهذا يجعل القول قسيما للفعل تارة ، وقسما منه أخرى .

فالأول ، كما يقال : الإيمان قول وعمل . ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تجاوز لأمتى عما حدَّثت به أنفسها مالم تتكلم أو تعمل به » ومنه قوله تعالى (٣٥ : ١٠ إليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه) وقوله تعالى (١٠ : ٦١ وما تكون فى شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل)

وأمثال ذلك فيما يفرق فيه بين « القول ، والعمل » وأما دخول القول فى العمل

فى مثل قوله تعالى (١٥ : ٩٢ ، ٩٣ فلنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) وقد فسروه بقول « لا إله إلا الله » .

ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم « أى الأعمال أفضل ؟ قال : الإيمان بالله » مع قوله صلى الله عليه وسلم « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها : قول لا إله إلا الله . وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق » .

ونظائر ذلك متعددة . وقد تنوزع فيمن حلف لا يعمل عملا ، إذا قال قولا كالقراءة ونحوها . هل يحنث ؟ على قولين فى مذهب أحمد وغيره .

بناء على هذا : فهذه الألفاظ التى فيها إجمال واشتباه ، إذا فصّلت معانيها و إلا وقع فيها نزاع واضطراب . والله سبحانه وتعالى أعلم .

والحمد لله وحده وصلى الله وسلم و بارك على عبد الله ورسوله إمام المهتدين ، والقدوة الحسنة للمؤمنين ، وعلى آله أجمعين . وأسأل الله أن يجعلنى من آله وحز به المفلحين فى الدنيا والآخرة .

وكان الفراغ من طبع وتصحيح هذا المجموع المشتمل على :

شذرات البلاتين ، من طيبات كلمات سلفنا الصالحين

رضى الله عنهم أجمعين وحشرنا فى زمرتهم تحت لواء خاتم المرسلين و إمام المحسنين المتقين .

وذلك بمطبعة السنة المحمدية فى النصف من شهر شوال سنة ١٣٧٥ هجرية . الموافق ٢٥ من شهر مايو سنة ١٩٥٦ ميلادية . والله المستعان على كل خير . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين .

وكتبه فقير عفو الله ومغفرته